تشخيص الأمراض المتعلقة بعدمِ قبول الولاية في مسار الانتظار من منظور القرآن

سمانة فردوسيان
طالبة دكتوراه، قسم علوم القرآن والحديث، كلية أصول الدين، قم، إيران
s.ferdosian@chmail.ir
الدكتور حيدر علي رستمي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والحديث، كلية أصول الدين، قم، إيران
hrostami20@yahoo.com
الدكتور محمد رصافي
أستاذ مساعد، فرع الإلهيات، كلية أصول الدين، قم، إيران
Moh.rassafi@gmail.com

Diagnosis of Diseases Related to the Rejection of Authority in the Waiting Process from the Perspective of the Quran

Samaneh Fardowsian
PhD Student , Department of Quranic and Hadith Sciences , Faculty of Usul al-Din , Qom , Iran
Dr. Haidar Ali Rostami (Responsible Writer)
Assistant Professor , Department of Quranic and Hadith Sciences , Faculty of Usul al-Din , Qom , Iran
Dr. Mohammad Rasafi
Assistant Professor , Department of Theology , Faculty of Usul al-Din , Qom , Iran

الملخص:-

الإنتظار من الناحية اللغوية يعني التواجد في وضعية لا يمكن فيها النظر إلى المطلوب في تلك الوضعية، ولكن مع مرور الوقت وتوفر الشروط اللازمة، يصبح هذا الأمر ممكنًا. هدف هذه المقالة هو توضيح أن اتباع المجتمع للزعيم الإلهي له دور مؤثر في السير الصحيح والسريع في مسار الانتظار والوصول إلى المطلوب وفقًا للقرآن الكريم. إن دراسة آيات القرآن والقصص التي تعكس مشهدًا من الانتظار في حياة البشرية تُظهر أن ثقة المجتمع واتباعه للقيادة الإلهية يمكن أن تحمي المجتمع من أضرار مسار الانتظار، والتي يمكن تقسيمها إلى أربع فئات: الأضرار التي تعيق الحركة نحو المطلوب، الأضرار التي تبطئ سرعة الحركة نحو المطلوب، الأضرار التي تمنع الوصول إلى المطلوب، والأضرار التي تحرف عن المطلوب. البيانات في هذا الكتاب من النوع الأساسي وتستخدم منهج التحليل النظري والمكتبي.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، القيادة الإلهية، قبول الولاية، مسار الانتظار، الأضرار.

Abstract:-

Waiting, from a linguistic perspective, means being in a situation where the desired outcome cannot be seen in that state. However, over time and with the necessary conditions, this situation can become possible. The aim of this article is to clarify that the community's adherence to the divine leader plays a significant role in the correct and swift progression along the path of waiting and achieving the desired outcome according to the Holy Quran. Studying the verses of the Quran and the stories that reflect a scene of waiting in human life shows that the community's trust and adherence to divine leadership can protect it from the harms of the waiting process, which can be categorized into four types: harms that hinder movement towards the desired outcome, harms that slow down the speed of movement towards the desired outcome, harms that prevent reaching the desired outcome, and harms that divert from the desired outcome. The data in this book is of a fundamental nature and employs a theoretical and desk analysis methodology.

Key words: Quran, divine leadership, acceptance of authority, path of waiting, harms.

المقدمة:

الكثير مما يطلبه الإنسان ويطمح إليه ويأمل في تحقيقه، هو أمور تتطلب من الإنسان أن ينتظر لفترة من الزمن. قد يكون هذا الانتظار لبضع دقائق، أو لعدة سنوات، أو حتى مدى الحياة، على أمل الوصول إلى أمر دنيوي أو معنوي وآخروي. إن عدم الاستفادة من وجود قيادة واعية، بالإضافة إلى عدم الانتباه لأوامرها، يمكن أن يتسبب في تعرض الفرد المنتظر لأضرار في مختلف مراحل مسار الانتظار. على الرغم من أن السير في طريق الانتظار هو موضوع شامل ومؤثر على جميع الأفراد والمجتمعات، إلا أنه يبدو أن معظم الأبحاث التي أجريت قد اختزلت هذا الموضوع في أكثر مصاديق الانتظار شهرة، وهو انتظار ظهور المنقذ للبشرية. وفي هذا السياق الخاص، تم إغفال دور القبول بالولاية في قضاء فترة الانتظار بسلام. ومع ذلك، فإن تقديم مفهوم الانتظار بمعناه العام وعدم حصره في معنى خاص، بالإضافة إلى الانتباه إلى مكانة القبول بالولاية للفرد المنتظر في مسار الانتظار، يمثل نظرة جديدة لموضوع الانتظار، مما يسمح للإنسان بأن يتدرب على الانتظار في مصاديقه الصغيرة، ليخطو بخطوات أكثر وعياً في مسار الانتظار المصيري للمنقذ المنتظر، وبالتالي يقلل من الأضرار التي قد يتعرض لها في هذا الطريق.

يبدو أن الأضرار التي تهدد الإنسان في مسار الانتظار تنقسم إلى أربع فئات: الأضرار التي تعيق الحركة نحو الهدف المنشود، الأضرار التي تبطئ سرعة الحركة نحو الهدف المنشود، الأضرار التي تمنع الوصول إلى الهدف المنشود، والأضرار التي تحرف عن الهدف المنشود.

على الرغم من أن هناك عوامل مختلفة قد تسهم في حدوث الأضرار في مسار الانتظار، إلا أن أحد العوامل البارزة التي يمكن أن تؤدي إلى ظهور الأنواع الأربعة من الأضرار هو عدم اتباع المجتمع للقيادة الإلهية. في هذا المقال، مع الأخذ في الاعتبار مفهوم الانتظار بشكل عام واستعراض المواعظ القرآنية والقصص التي تم ذكرها في سياق نوع من الانتظار، سيتم دراسة دور عدم اتباع قائد المجتمع الإسلامي كولي أمر في ظهور أو تفاقم هذه الفئات الأربع من الأضرار، مع تقديم بعض النقاط.

١- مكانة ولي الأمر في المجتمع الإسلامي

الأنبياء والأئمة وغيرهم من القادة الدينيين، يُعتبرون من أهم عوامل انتصار المجتمع

الإيماني في مسار الإيمان والاعتقاد. لقد منعوا، طالما كانوا بين أتباع الأديان التوحيدية، المؤمنين من قبولهم كقدوة لهم، من حدوث انحراف في صفوف المؤمنين. ولهذا السبب، اعتبر القرآن الكريم عصيان أوامر رسول الله، كولي أمر المسلمين، سبباً للضلال (الأحزاب ٣٦) وأمر المسلمين بالاتباع المطلق لرسولهم وخلفائه الشرعيين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٤/ ٥٩).

تكرار لفظ "أطيعوا" في هذه الآية يدل على أن طاعة رسول الله من قبل الناس لها جانبان: الأول هو الطاعة لرسول الله في التشريع وبيان الأحكام والأوامر التي تلقاها من خلال الوحي (النساء ١٠٤)، والثاني هو الطاعة لرسول الله في الأحكام والآراء التي يصدرها بناءً على الولاية التي يمتلكها على الناس، حيث يكون له زمام الأمور والقضاء (آل عمران ١٥٦). كما أن الآية المعنية تجمع بين الرسول وأولي الأمر، وتبين نوعًا من الطاعة غير المشروطة لكليهما، مما يمكن أن نستنتج منه عصمة أولي الأمر، حيث إن الطاعة غير المشروطة لهم واجبة على الناس كما هي واجبة لطاعة الرسول ﷺ. جميع المفسرين الشيعة يتفقون في هذا الشأن على أن المقصود من أولي الأمر هم الأئمة المعصومون الذين تم تكليفهم بقيادة المجتمع الإسلامي في جميع شؤون الحياة من قبل الله ورسوله ﷺ، ولا تشمل غيرهم؛ وبالتأكيد، فإن الذين يتم تعيينهم من قبلهم في مناصب معينة في المجتمع الإسلامي يجب طاعتهم بشروط معينة، ليس لأنهم أولي الأمر، ولكن لأنهم يمثلون أولي الأمر (الطباطبائي، ١٤١٧، ج٤، ص٣٨٧-٣٨٩).

لذا فإن الطاعة لأولي الأمر في زمن حضور الإمام تتحقق من خلال مراعاة أوامره ونواهيه، وفي زمن الغيبة من خلال اتباع الفقيه الجامع للشروط الذي نصبه الأئمة المعصومون عليهم السلام. كما أنه إذا كان الإمام في زمن الحضور يعين شخصًا لقيادة أو ولاية على الناس، فإن الطاعة له تكون واجبة على الناس، وله ولاية عليهم، وفي زمن الغيبة أيضًا الفقيه الجامع للشروط الذي له النيابة العامة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام له ولاية. كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه». وأيضًا في العصر الحاضر بناءً على توقيع الإمام المهدي (عج) المتعلق بـ... «و أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا؛ فإنّهم حجّتي

عليكم و أنا حجّة اللّه عليهم.» (مجلسي،١٤٠٣، ج٧٥، ص٣٨٠). الشيعة ملزمون بطاعة أمر الفقهاء الجامعين للشرائط.

النقطة الجديرة بالاهتمام في هذا الحديث هي أن كلمة "الحوادث" جمع مع "ال" التي تفيد العموم، مما يدل على أن اتباع الفقيه الجامع للشرائط في جميع شؤون الحياة أمرٌ إلزامي (ويكيبيديا الشيعة). الإمام الخميني في كتابه "ولاية الفقيه" يكتب في شرح هذا الحديث: المقصود من "الحوادث الواقعة" ليس المسائل والأحكام الشرعية، لأن الرجوع في هذه الأمور إلى الفقيه من الواضحات في مذهب الشيعة؛ بل المقصود هو الأحداث الاجتماعية والمشكلات التي كانت تواجه الناس والمسلمين. (ويكيبيديا الفقه)

استناداً إلى رأي بعض المفسرين الشيعة، فإن الفقهاء الجامعين للشرائط في عصر الغيبة يُعتبرون من مصاديق أولي الأمر (صادقي تهراني، ج٥، ص١٤٤). الإمام الخميني، مستنداً إلى أدلة عديدة، بما في ذلك الآية ٥٩ من سورة النساء، يعتبر الفقهاء الذين تتوفر فيهم الشروط اللازمة في عصر الغيبة كأولي الأمر (الخميني، ولاية الفقيه، ص٨٩-٩٠؛ الخميني، كتاب البيع، ج٢، ص٦٢٠ و٦٢٢ و٦٣٩).

وفيما يتعلق بالفقهاء الجامعين للشرائط، قيل إنه يجب أن يكون لديهم ملكة استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية، وأن تتوفر فيهم الشروط اللازمة مثل الزهد والتقوى لتولي منصب المرجعية (النجفي الجواهري، ١٣٦٢ص٣٩٩، الشيخ الأنصاري، القضاء والشهادات، ١٤١٥ق، ص٢٢٩-٢٣١).

بناءً على ما ذُكر، وأيضًا استناداً إلى الآية ٥٥ من سورة المائدة، يُلزم المسلمون بطاعة أمر الله ورسوله ﷺ وخلفائهم الشرعيين كقادة للمجتمع الإسلامي. هذا الحكم عام، ويشمل بالإضافة إلى رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام الفقهاء العادلين في عصر الغيبة أيضًا. إن عدم قبول ولاية هؤلاء القادة في جميع الشؤون، وخاصة في مسار الانتظار وإدارة الشأن الاجتماعي، يمكن أن يُعرض الأفراد والمجتمعات لأضرار قد لا يكون من الممكن تعويضها.

من الواضح أنه لإثبات ولاية الفقيه وأهمية مكانتها في المجتمع يمكن الاستناد إلى آيات وروايات أخرى، ولكن حرصًا على الإيجاز، يكفي هذا المقدار.

٢- عدم القبولية تعيق الحركة في مسار الانتظار.

المقصود من الأضرار التي تعيق الحركة هو تلك الأضرار التي تؤدي إلى خلق تصور خاطئ لدى الفرد، حيث لا يجد أن الحضور والحركة في المسار شرط للوصول إلى المطلوب، أو أن الضرر المعنى يسلبه القدرة على السير في الطريق كالسلسلة.

استناداً إلى آيات القرآن، فإن عدم الثقة والشك في أقوال الله ورسله وخلفائهم الشرعيين من بين العوامل التي تعيق الأفراد عن اتخاذ خطوات في المسارات الصعبة، وأبرز مثال على ذلك هو كراهية بعض الأفراد للانطلاق في مسار الدين، الذي يُعتبر المسار الرئيسي للانتظار للوصول إلى السعادة والنجاة من المشاكل، وهو ما يسعى إليه جميع البشر. القرآن الكريم، من خلال توصية رسوله بالابتعاد عن الشك في الآيات الإلهية والسعي لإزالة الشك من خلال السؤال من الأشخاص المطلعين، يُعرّف هذا الضرر كعامل يمنع بعض الأفراد من السير في طريق الإيمان، الذي يُعتبر انتظاراً للوصول إلى السعادة: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (هود: ١١/ ٩٤-٩٧).

الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى هذا الأثر أيضًا كعلامة على عدم الثقة بكلمات رسله، ويقول:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (ابراهيم: ١٤/ ٩-١٠)؛

أيضًا، قوم صالح في بيان سبب عدم اتخاذهم خطوة في طريق الإيمان أشاروا إلى هذه الأذية، فقالوا: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾(هود:١١/ ٦٢)

يمكن العثور على مثالٍ عياني لعدم الطاعة وبالتالي عدم التحرك نحو المطلوب في حادثة

امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة عند خروجهم من مصر، والتي سيتم شرحها لاحقًا.

٢-١- عدم طاعة بني إسرائيل حال دون التحرك في مسار الانتظار.

بني إسرائيل بعد وفاة النبي يوسف، بسبب شدة المصائب والآلام، كانوا ينتظرون كل يوم ظهور وولادة النبي موسى حتى ظهرت علامات ولادته ووقعت عليهم أذى كثير من فرعون (خزائي، ١٣٨٨، ص٤١). من وقت ولادة النبي موسى حتى بعثته، استغرق الأمر أربعين سنة، وظل بني إسرائيل خلال هذه الفترة تحت ضغط القبطيين (طيب، ١٣٦٩، ج ١١، ص٣٧٥) حتى أرسل الله إلى موسى عليه السلام الوحي ليخرج عباد الله ليلاً من مصر (طه ٧٧) ويهاجروا نحو الأرض المقدسة على أمل تشكيل حكومة إلهية. كان النبي موسى عليه السلام أول نبي بفضل الله استطاع أن يحقق ثورة ويؤسس حكومة، رغم أن هذه الثورة لم تصل إلى نهايتها وتعرضت للفشل. أسس حكومته في مصر وأقامها في طريق الهجرة، ولكن في طريق الوصول إلى الأرض الموعودة (بازياني، ١٤٠٠، ص٥) بسبب عصيان وعدم ثقة بني إسرائيل به وبوعود الله، وبالتالي عدم اتخاذهم خطوات في هذا الطريق، لم تصل الأمور إلى نتيجة.

في الحقيقة، لم يكن لبني إسرائيل ثقة كاملة بموسى عليه السلام وكلماته، على الرغم من كونهم معه وأملهم في النصر بواسطته. على سبيل المثال، عندما أخبرهم النبي بأن الله يتحدث إليهم، أعلنوا بوضوح أنهم لن يؤمنوا به أبداً ما لم يسمعوا كلام الله كما يسمعه هو (النساء ١٥٣). كما انتشرت شائعة كاذبة عن كونه كاذباً وهارباً بين بني إسرائيل بعد تأخره لمدة عشرة أيام (قمي، ١٣٦٧، ج٢، ص ٦١-٦٢). من الواضح أنه لو كان لديهم ثقة في النبي، لما كانت هذه الشائعة قادرة على الانتشار بهذه السرعة في أقل من عشرة أيام. يمكن العثور على مثال آخر لهذه عدم الثقة في قصة الأمر بالدخول إلى الأرض المقدسة، الذي أدى إلى عدم تحرك بني إسرائيل نحو ما كانوا ينتظرونه لسنوات.

في هذه القصة يُعَدُ بني إسرائيل بأن يكفيهم أن يتحركوا ويدخلوا المدينة ليغلبوا على أعدائهم: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٢٣/٥)؛ لكن بني إسرائيل لم يثقوا بأمر الله ولم يؤمنوا بقومهم، وخافوا من سكان تلك المدينة، فقالوا لموسى عليه السلام: لن ندخل المدينة

حتى يخرجوا منها. وقد قالوا هذه العبارة لأنهم كانوا خائفين من ضخامه أجسام الجبارين وقوتهم، ولم يثقوا بوعد الله.

من جهة أخرى، ذكر السيد موسى وعد الله بشأن وصولهم إلى الأرض المقدسة: ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٢٠/٥) وأخبرهم أن عدم الانتباه إلى أمر الله سيؤدي بهم إلى الخسارة: ﴿لَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٢٠/٥)، لكن عدم ثقة بني إسرائيل بهذه الوعود حال دون تحركهم نحو ما هو مطلوب منهم، وهو الأرض الموعودة.

في هذه القصة، قال بنو إسرائيل لموسى بعد معارضتهم لأمره: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤/٥). هذا الكلام يدل على أنهم احتقروا موسى عليه السلام ووعوده، وحتى لم يلتفتوا إلى اقتراح هذين الرجلين الإلهيين، وربما لم يجيبوا حتى بأقل رد (مكارم الشيرازي، ١٣٧٤، ج٤، ص٣٤٣).

٢-٢- ولاية المسلمين عامل حركة في مسار الانتظار.

نموذج من وعود الله التي أُبلغت للمسلمين من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله - قائد المجتمع الإسلامي - والتي جعلتهم يجرؤون على التحرك نحو ما هو مطلوب، هو هذا الوعد الذي ينص على أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينتظروا توازن القوى الظاهر مع العدو؛ بل يجب عليهم أحيانًا أن يقاتلوا بضعف عددهم وأحيانًا حتى بعشرة أضعاف، وألا يفروا من العدو بحجة قلة العدد، لأنه إذا صبروا وثبتوا، فسوف ينتصرون على أعدائهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:٨/ ٦٥ و٦٦)

المسلمون قد خاضوا مرارًا معتمدين على هذا الوعد الإلهي في ميادين الحرب، ورغم قلة العدد والعدة مقارنةً بالأعداء، إلا أنهم شهدوا نتيجة تحقق هذا الوعد بصبرهم وثباتهم. في معظم ميادين الحرب الإسلامية، كانت موازين القوى تميل لصالح الأعداء، وغالبًا ما كان المسلمون في حالة أقلية، ليس فقط في المعارك التي حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وآله، مثل بدر

وأحد والأحزاب، أو في معركة مؤتة حيث كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، بينما العدد الأدنى الذي كُتب عن قوات العدو كان مئة وخمسين ألفًا، بل أيضًا في المعارك التي وقعت بعد النبي ﷺ كان هذا الفارق موجوداً بشكل مذهل؛ على سبيل المثال، كان عدد أفراد جيش تحرير الإسلام في الحرب مع جيش الساسانيين خمسين ألفًا، بينما كان عدد جنود كسرى برويز خمسمئة ألف. في معركة اليرموك، التي كانت مواجهة كبيرة بين جيش الإسلام وجيوش الروم، نقل المؤرخون أن الجيش الذي جمعه هرقل كان حوالي مئتي ألف، بينما لم يتجاوز جيش الإسلام أربعة وعشرين ألفًا! (مكارم الشيرازي، ١٣٧٤، ج٧، ص٢٤٠).

على الرغم من أن توازن القوى والتفوق الظاهري يعد أحد عوامل النصر، إلا أن ثقة المسلمين بوعد الله كانت تدفعهم إلى الحضور في ساحة المعركة بعيداً عن الضعف واليأس، حيث كانوا يعملون بشجاعة وصبر على أمل تحقيق ما يصبون إليه، مما أدى إلى تحقيق النصر، وبالتالي تعويض هذا الفارق الكبير لصالح المسلمين.

٢- عدم قبول الولاية عامل في بطء الحركة في مسار الانتظار.

الفئة الثانية من الأضرار التي ستصيب الأفراد في حال تجاهلهم لتوجيهات القادة الإلهيين في مسار الانتظار هي توقف أو بطء سرعة الحركة نحو المطلوب. هذه الأضرار، التي عادة ما تنشأ من نقص الأدوات اللازمة للحركة أو وجود عوامل تعيق الحركة، تظهر بعد دخول الفرد المنتظر في المسار، مما يؤدي إلى توقفه أو بطء حركته نحو المطلوب. وطالما أن الفرد المنتظر لا يسعى لتوفير تلك الأدوات أو إزالة تلك العوائق، ستظل حركته نحو المطلوب بطيئة أو متوقفة؛ كما يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

التبعية، والتعاطف، ومرافقة القائد في هذه الظروف يمكن أن تقلل من الوقت اللازم لإزالة العقبات أو توفير الأدوات اللازمة، مما يؤدي إلى تسريع الحركة نحو الهدف المنشود. في هذا السياق، ستظهر مقارنة فترة الانتظار بين مجموعتين من المسلمين في شعب أبي طالب وبني إسرائيل في الصحاري كيف يمكن أن يزيد التعاطف والمرافقة مع القائد من سرعة الحركة في مسار الانتظار. سيتم تناول هذا الموضوع لاحقًا.

٣-١- عدم الطاعة لبني إسرائيل عامل بطء الحركة في مسار الانتظار

بعد أن لم يخطو بني إسرائيل نحو ما يصبون إليه - الوصول إلى الأرض الموعودة - بسبب عدم ثقتهم بوعد موسى عليه السلام وعدم اهتمامهم بتوجيهات كبار قومهم، أمرهم الله بالتجول في الصحراء (المائدة ٢٦).

وفقًا لرأي ابن خلدون؛ في هذه القضية، فقد بني إسرائيل من جهة، بسبب سنوات من العبودية، والإذلال، والاستغلال، عصبيتهم القومية، ومن جهة أخرى، لم يكن لديهم إيمان ديني كامل؛ ونتيجة لذلك، كانوا غير قادرين على الدفاع، والثبات، والقتال من أجل الحفاظ على حياتهم الاجتماعية المستقلة واستعادة الأرض الموعودة. لذلك، كانت حكمة الله تتطلب أن ينقرض الجيل المتعود على الذل، والغضب، والهيمنة، والعبودية، وأن يظهر جيل جديد بدون صفات الأجداد، وبناءً على معتقدات دينية راسخة، ليتمكنوا من تأسيس مجتمع جديد، مستقل، وقوي (ابن خلدون، ج١، ص١٤١-١٤٢). ولكن في هذه الفترة، لم يبذل بني إسرائيل أي جهد لإزالة العقبات المذكورة وكسب الاستعداد الروحي اللازم للوصول إلى المطلوب، وعلى الرغم من أن العديد منهم كانوا يرافقون النبي موسى عليه السلام في الصحراء؛ إلا أنه لم يكن هناك أي تعاطف في هذا المرافقة، وكانت جميع أعباء مسؤولية هذه الأمة تقع على عاتق موسى عليه السلام، وكان القوم يعتبرونه سبب جميع البلايا التي تصيبهم، ولم يبذلوا أي جهد لتحسين الظروف، وكانوا يرون أن السعي لتحسين الظروف من واجبات الله وموسى عليه السلام؛ كما ورد في التوراة أن موسى، في مواجهة شكاوى القوم، في غياب الماء، قال لله: "ماذا أفعل مع هذا الشعب؟ إنهم قريبون من رميي بالحجارة" (سفر الخروج ١٧: ١٤).

وفقًا لتقرير التوراة، خلال هذه الفترة من الأربعين عامًا من التيه، تحدث أحداث مريرة وحلوة، واشتباكات وصراعات عديدة، ومع ذلك فإن بني إسرائيل لا يبذلون أدنى جهد لإصلاح أنفسهم: يرسل الله تدريجيًا التعاليم العقائدية والأحكام العملية لبني إسرائيل (سفر العدد ٥: ٥-٣١، ٦: ١-٢١، ١٥: ١-٣١، ٢٩: ١-٤٠). يتم اختبار مدى طاعتهم وعبوديتهم عدة مرات، ويذكرهم الله مرارًا بعهدهم مع إبراهيم عليه السلام وأبنائه (سفر الخروج ١٩: ١-٨، ٢٣: ٢٠-٢٦). تحدث أحداث مهمة مثل نزول المن والسلوى (العدد ١١: ٤-٣٢)، وتفجر عين الماء من الحجر بعصا موسى (سفر العدد ٢٠: ٢-١٢، القضاة ١٥: ١٩)، ومجيء

السحاب الناري لقيادة القوم (سفر العدد ٩: ١٥-٢٣)، ووفاة هارون وموسى (سفر العدد ٢٠: ٢٢-٢٩)، كل ذلك يحدث في هذه الفترة التاريخية. في هذه الفترة، بدلاً من أن يعمل بني إسرائيل على إصلاح صفاتهم غير المرغوب فيها ويكتسبوا الاستعداد اللازم لدخول الأرض الموعودة من خلال تنمية روحهم وجسدهم، استمروا في تحدياتهم وعصيانهم. تصف التوراة سلوكهم في هذه الفترة على النحو التالي:

تذمر بني إسرائيل في الصحراء على موسى وهارون من الجوع. وقالوا: ليتنا متنا في أرض مصر على يد الرب، عندما كنا نجلس عند أواني اللحم ونتناول الخبز حتى الشبع، لأنك أخرجتنا إلى هذه الصحراء لتجعل جميع هذه الجماعة تموت جوعًا (سفر التثنية ٣٤: ٤-٦). وعندما واجهوا رتابة الطعام، بكى بعضهم وقالوا: "من سيطعمنا لحمًا؟ نحن نتذكر السمك الذي كنا نأكله مجانًا في مصر، والخيار والبطيخ، والبصل والثوم. والآن قد جفّت أنفسنا، وليس لدينا شيء، سوى هذا المنّ في أعيننا!" (سفر العدد ١١: ٦-٤). العهد القديم مليء بمثل هذه الأمثلة من عدم الصبر والتذمر لبني إسرائيل (خروج ١٤: ١١، ١٦: ٢-٣، ١٧: ٢-٣، سفر العدد ١٤: ٢-٤، ١٦: ١٣-١٤، ٢٠: ٤-٥، ٢١: ٥).

القرآن الكريم أيضًا أشار إلى هذه الجرأة والراحة التي اتسم بها بني إسرائيل وعدم سعيهم لتحسين أوضاعهم، حيث قال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا . . .﴾ (البقرة: ٦١)

كما يشير القرآن إلى خياناتهم المستمرة مع موسى واختيارهم العجل كإله في تلك الفترة، ويظهر إيمانهم القسري بهذه الطريقة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ . . .﴾ (البقرة: ٩٣/١)

وفقًا للتوراة وكذلك القرآن، لم تظل هذه التحديات بلا رد، وتمت معاقبتهم من خلال نزول عذابات متعددة (البقرة ٥٥)، التي ربما كانت لها جوانب تربوية لإيقاظ بني إسرائيل من غفلتهم وجهلهم. وفي النهاية، استمر انتظارهم للوصول إلى الأرض المقدسة أربعين عامًا حتى ظهرت جيل جديد وسليم كان مؤهلاً لدخول تلك الأرض المقدسة (جوادي آملي، ج٢٢، ص٢٨٩).

٣-٢- قبول ولاية المسلمين عامل في زيادة السرعة في مسار الانتظار.

مع انتشار الإسلام وزيادة عدد المؤمنين وحدث الهجرة لعدد من المسلمين إلى أرض الحبشة ودعم النجاشي ملك الحبشة للمسلمين، شعر كفار قريش بالخطر وذهبوا إلى أبي طالب وطلبوا منه أن يسلم لهم محمداً ﷺ مقابل مبلغ من المال، أو أن يمنعه من معارضة أصنامهم؛ وإلا فسيسعون جاهدين إلى القضاء على محمد ﷺ بكل ما يستطيعون. لكن أبا طالب لم يقبل هذا الاقتراح، ومن أجل حماية ابن أخيه، جمع بني هاشم وبني المطلب، واتفق بعض كفار قريش مع أبي طالب لحماية القبيلة وطاعته، وأخذوا النبي ﷺ إلى منطقة شعب أبي طالب. في هذه الفترة، لم يدخر المشركون جهداً في محاولة القضاء على النبي الأكرم ﷺ ومنع نجاح جهوده في نشر الدين الإلهي.

كانوا يحافظون على حياة رسول الله ﷺ من قبل الجاهلين في مكة ليلاً ونهاراً، وبعد نفاد أموال أبي طالب عليه السلام وخديجة (سلام الله عليها) التي كانت تؤمن مصاريفهم في تلك الفترة، بدلاً من الشكوى والتذمر من قائدهم في مواجهة الجوع وصعوبات الزمن، بدأوا يبحثون عن طرق لحل المشاكل والنجاة من تلك الظروف. كانوا يخلقون من أبسط وأحياناً أقل الأشياء قيمة في محيطهم موارد ذات قيمة، وكانوا يأكلون من أوراق ولحاء الأشجار وجذور النباتات. كان الشباب والرجال يعيشون على تناول حبة تمر واحدة في اليوم، وأحياناً كانوا يقسمون نفس حبة التمر إلى نصفين. كانوا يربطون حجراً على بطونهم لتحمل الجوع، ويقضون الأيام بالصيام حتى يحين الليل. (معروف هاشم ،١٤١٢، ج١،ص٢١٦)

في هذه الظروف الصعبة، ورغم الحراسة المشددة من قريش، كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يغامر بحياته ويجلب الطعام للمسلمين سراً. كما عبر الإسكافي وآخرون، كان ذلك في ظروف إذا تم القبض على، فلن يتركوه حياً. (س پ هري،١٣٨٤)

في النهاية، انتهى الحصار الاقتصادي على المسلمين بعد مرور ثلاث سنوات، وأعطى النبي ﷺ بعد أن هيأ الظروف للهجرة من خلال المفاوضات مع قبائل الأوس والخزرج، أمر الهجرة إلى يثرب (المدينة) للمسلمين في مكة (مشايخ، ١٣٨١، ص ٦٨٧).

في هذه القصة، ساهمت مرافقة وتضامن المسلمين مع قائدهم في الوصول إلى مبتغاهم

بعد ثلاث سنوات من الانتظار، بينما استغرق الأمر لبني إسرائيل أربعين سنة بسبب عدم تضامنهم مع قائدهم، مما أدى إلى بطء حركتهم نحو الهدف مقارنة بالمسلمين.

٣- عدم الطاعة يمنع الوصول إلى المبتغى.

الضرر الثالث الذي يمكن أن يصيب المجتمع المنتظر في حال عدم طاعة القائد هو عدم الوصول إلى المطلوب. في هذا الضرر، يجد الفرد نفسه، رغم وجوده في المسار ومحاولته، متوقفًا ومحرومًا من المطلوب بالقرب من النصر. وغالبًا ما تكون هذه الأضرار غير قابلة للتعويض في تلك الفترة الزمنية، وعلى الرغم من أن الشخص قد يتمكن من تعويضها في أوقات لاحقة والوصول إلى المطلوب، إلا أنه في كل الأحوال سيتكبد خسارة ويعاني من حرمان في ذلك الوقت.

من منظور القرآن، من بين واجبات رسول الله وأصحاب الأمر كقادة للمجتمع هو حل النزاعات (النساء: ٥٩)، حيث إن تجاهل الأفراد لهذه المسألة وعصيان أصحاب الأمر يؤديان إلى أن تُصرف طاقات الأفراد، بدلاً من أن تُسرع في الوصول إلى المطلوب، في هذه النزاعات. ونتيجة لذلك، مع إهدار الطاقات، يصبح الأفراد ضعفاء ولا يستطيعون الوصول إلى ما يريدون. يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (التوبة: ٤٦/٩).

تنازع في اللغة يعني الاختلاف والمخاصمة (ابن منظور، ج٨، ص٣٥١).

الفشل هو الضعف والركاكة مصحوبة بالخوف والجبن (الراغب، ص٦٣٧).

الريح تعني الهواء، وهنا تشير إلى التقدم والنفوذ والوصول إلى الهدف (الطبرسي، ج٩، ص٩٥)؛ لأن هبوب الرياح المواتية دائماً ما كان سبباً في حركة السفن نحو المقصد المنشود، وفي زمن نزول القرآن كانت القوة المحركة للسفن هي هبوب الرياح (المكارم الشيرازي، ج٧، ص١٩٦). والمقصود من (تَذْهَبَ رِيحُكُمْ) هو أن قوتكم وصولتكم ستزول. بعض المفسرين يقولون: يعني تفقدون النصر، وبعضهم يقول: يعني تفقدون الدولة، وآخرون يقولون: يعني أن نسيم النصر لن يهب على حياتكم (الطبرسي، ج٩، ص٩٥).

في هذا السياق، حيث جاءت كلمة "فَشَل" مع "فاء" التفريع، يدل على أن جذر فَشَل هو النزاع. ومع ذلك، نظرًا لأن هذا الحكم غير صحيح في جميع الحالات مثل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ...﴾ (آل عمران: ١٥٢/٣)، يتضح أن فَشَل ليس دائمًا فرعًا للنزاع؛ بل أحيانًا يكون مستندًا إلى عوامل أخرى مثل حب الدنيا، والخوف من الإيثار والتضحية، وما إلى ذلك، وكل من هذه الأمور يؤدي إلى ضعف الإرادة. والإنسان ضعيف الإرادة بدلاً من الرجوع إلى رسول الله ﷺ كولي أمر المسلمين للبحث عن الحل، يتنازع بقوته الذاتية ويهيئ الأرضية للعصيان (جوادي آملي، ج١٦، ص٥٦). ونتيجة لذلك، وفقًا لما جاء في القرآن، فإن الضعف، والاختلاف، والعصيان من القائد، من خلال القضاء على القوة والقدرة التي هي القوة الدافعة للنجاح في الأمور، يمنع الأفراد من الوصول إلى ما يريدون (جوادي آملي، ج١٦، ص٥٦)، كما أشار الآية "تَذْهَبَ رِيحُكُمْ".

وفيما بعد، سيتم توضيح كيف أن عصيان أمر القائد من قبل المسلمين، على الرغم من جهودهم الكبيرة في انتظار النصر في المعركة، أدى في اللحظات الأخيرة إلى فقدان ما كانوا يسعون إليه، من خلال ذكر قصة غزوة أحد.

٤-١- عدم طاعة المسلمين كان سبباً في هزيمتهم في غزوة أحد.

قصة غزوة بدر وانتصار المسلمين المشرف، مقابل غزوة أحد وهزيمتهم، تُظهر أن الاختلاف والضعف والعصيان لأمر القائد يمكن أن يمنع تحقيق الوعود الإلهية، وبالتالي عدم الوصول إلى المطلوب؛ بحيث أنه وفقًا لما جاء في القرآن، كان المسلمون حتى منتصف غزوة أحد بفضل طاعتهم وجهودهم واتحادهم، وفقًا للوعود الإلهية، منتصرين: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ...﴾ (آل عمران: ١٥٢) حتى أنه بسبب الابتلاء بالاختلاف والضعف، ونتيجة لعصيان القائد، تغيرت نتيجة الحرب بشكل آخر. في المتابعة، سيتم أولاً شرح مسار انتظار المسلمين في أحداث هذه الحرب، ثم سيتم إظهار كيف أن عصيان القائد استطاع أن يغير نتيجة الحرب، على الرغم من كل جهود المسلمين في مسار انتظارهم، في اللحظات الأخيرة، إلى ضررهم ويمنعهم من الوصول إلى المطلوب.

أ- توصيف مسار انتظار المسلمين في غزوة أحد

يشرح مجمع البيان (الطبرسي، ج٢، ص٨٢٤-٨٢٦) أحداث غزوة أحد على النحو التالي: خرجت قريش بعد الهزيمة القاسية التي تعرضت لها في غزوة بدر، بهدف الانتقام من المسلمين، مع ٣٠٠٠ فارس و٢٠٠٠ راجل من مكة، وأخذوا معهم النساء أيضًا. عندما وصل هذا الخبر إلى النبي ﷺ، جمع الصحابة وشجعهم على الجهاد، واستشارهم في أمر الحرب. في هذه الأثناء، قال عبد الله بن أبي سلول، الذي كان معارضًا للخروج إلى الحرب خارج المدينة: "يا رسول الله ﷺ، لا نخرج من المدينة، بل نقاتل العدو في شوارع المدينة، حتى يقاتل جميع أهل المدينة، من صغير وكبير، وامرأة ورجل، وشاب وشيخ، وقوي وضعيف، جميعهم في الطريق ومن فوق الأسطح". وأضاف: "لم نقاتل عدوًا داخل المدينة أو في حصوننا إلا كنا منتصرين، وفي كل معركة خرجنا فيها من المدينة، هُزمنا". فقام سعد بن معاذ وغيرهم من الأوس الذين كانوا مؤيدين للخروج إلى الحرب خارج المدينة، وقالوا: "يا رسول الله، لم يطمع أحد من قبائل العرب في انتصارنا عندما كنا مشركين، والآن وأنت بيننا، كيف يمكنهم أن يطمعوا؟ سنخرج بالتأكيد نحو العدو، ومن يُقتل منا فهو شهيد، ومن يبقى ينال ثواب المجاهد".

غالب سيرة الكتاب متفقون على أن رأي النبي ﷺ في البداية كان البقاء في المدينة (العاملي، ج٦، ص١٠٦) ولكن في النهاية، بسبب إصرار المسلمين (ابن كثير الدمشقي، ج٢، ص٣٢٩) واحترامًا لرأي الأغلبية (مكارم الشيرازي، ج٣، ص٧٢)، قبل نظرية الخروج من المدينة.

في هذه الحرب، عبد الله بن أبي، بحجة أن النبي ﷺ كان مخالفًا لاقتراحه واتباعه لرأي الشباب (ابن الجوزي، ج٢، ص٢٦٤) أو بسبب عدم قبول حلفائه اليهود في الحرب (الحلبي الشافعي، ج٢، ص٤٢)، عاد مع أنصاره الذين كانوا حوالي ٣٠٠ شخص من الطريق (ابن هشام، ج٣، ص٦٤) أو من أحد (الواقدي، ج١، ص٢١٠) إلى المدينة، وبالتالي انخفض عدد جيش الإسلام إلى ٧٠٠ شخص (ابن هشام، ج٣، ص٦٥).

هذا هو الاختلاف الأول والعصيان الجماعي من مجموعة من المسلمين لأمر القائد، وفي الحقيقة كانت هذه هي المشهد الأول من الصعوبة التي تمكنت فيها مجموعة من المسلمين، رغم مشاهدتهم لتقليص قوة المجاهدين، من تجاوزها بنجاح بفضل ثقتهم بوعود الله وقائدهم.

أرسل النبي الأكرم ﷺ عبد الله بن جبير مع ٥٠ رامياً ليكونوا في مقدمة ومؤخرة شق جبل أحد، حتى لا يهاجم الكفار من هناك، وأوصى عبد الله بن جبير ورفاقه قائلاً: "إذا رأيتم أننا طردنا الكفار حتى خلف أبواب مكة، فلا تبرحوا من هنا ولا تتركوا موقعكم، وإذا رأيتم أنهم هزمونا وتبعونا حتى المدينة، فلا تتحركوا من أماكنكم واثبتوا في مواقعكم."

كما وضع أبو سفيان خالد بن الوليد مع ٢٠٠ فارس في كمين، وقال: "عندما ترون أننا تداخلنا في المعركة، فاقتحموا عليهم من هذا الشق وهاجموا من الخلف."

أمر النبي الأكرم ﷺ أصحابه بأن يتخذوا مواقعهم، وأعطى الراية لعلي عليه السلام. هاجم الأنصار المشركين من قريش وألحقوا بهم هزيمة مخزية، بينما استقر أصحاب النبي الأكرم ﷺ في الخيمة ومركز الجيش ومرافقهم. ثم هاجم خالد مع مئتي فارس عبد الله بن جبير، لكنهم واجهوا وابلًا من السهام وبدؤوا في الفرار.

كانت هذا هو المشهد الثاني من صبر المسلمين وجهودهم في انتظار النصر، حيث تمكنوا في ظل طاعة رسول الله ﷺ من تحقيق انتصار أولي في معركة أحد.

بعد هذه الحادثة، قال أصحاب عبد الله بن جبير الذين رأوا أن أصدقاء النبي ينهبون أمتعة وخيام المشركين لعبد الله: أصدقاؤنا قد حصلوا على الغنائم ونحن بلا نصيب. فقال عبد الله: اتقوا الله، فقد قال لنا النبي سابقًا ألا نترك مكاننا أبدًا. لكنهم لم يقبلوا قوله، وتركوا أماكنهم واحدًا تلو الآخر وبدأوا في جمع الغنائم حتى خلت مواقعهم، وبقي عبد الله بن جبير مع ١٢ شخصًا. ثم هاجم خالد بن الوليد عبد الله بن جبير، وهرب أصحابه باستثناء عدد قليل. فقتلهم خالد، ومن خلال تلك الفجوة هاجم المسلمين من الخلف. وعندما رأت قريش التي كانت في حالة فرار أن رايتهم قد ارتفعت، عادوا إلى المعركة وهاجموا المسلمين.

ب- دور الاختلاف، والضعف، والعصيان بين المسلمين نتيجة الحرب

على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها المسلمون حتى تلك اللحظة، ووقوفهم على بعد خطوة واحدة من النصر، فإن الاختلاف الذي حدث بين أنصار عبدالله بن جبير، ونتيجة لعصيان بعضهم، أدى إلى هزيمة شديدة لأصحاب النبي ﷺ الذين كانوا محاصرين

من الأمام والخلف ومشغولين بالغنائم، مما جعلهم يفرون ويلجأون إلى سفوح الجبال. عندما رأى النبي الأكرم ﷺ فرار المسلمين، نزع عمامته من رأسه وقال: "أقبلوا إلى، أنا رسول الله، أسرعوا إلى، أين تفرون من الله ورسوله؟"

في هذه الواقعة، قُتل حمزة عم النبي، ولم يبق مع النبي سوى على وأبو دجانة سماك بن خرشة. كلما هاجم مجموعة النبي ﷺ، كان على عليه السلام يهرع إلى الأمام ويدفعهم، وكان على عليه السلام يقاتل المشركين حتى أصيب بـ ٧٠ جرحاً في رأسه ووجهه وبطنه ويديه ورجليه.

في هذه الحرب كُسِرَتْ سنّة النبي ﷺ وقُتِلَ من المسلمين ٧٠ شخصًا. وكان الكفار قد مثّلوا بجثث عدد من الشهداء، وكان حمزة أكثرهم مثلاً. وقد ذكر القرآن الكريم أن الهزيمة التي حصلت في هذه الحرب كانت نتيجة للاختلاف والضعف وعصيان المسلمين لأمر رسول الله ﷺ، حيث قال لهم: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٢).

ج- دراسة أسباب هزيمة المسلمين

عندما عاد المسلمون إلى المدينة بعد تكبدهم خسائر فادحة في معركة أحد، كانوا يتساءلون فيما بينهم: أليس الله قد وعدنا بالنصر والفتح؟ فلماذا هُزمنا في هذه المعركة؟ في هذا الوقت، نزلت الآيات ١٥٢ و١٥٣ من سورة آل عمران لتبيين أسباب هزيمتهم (مكارم الشيرازي، ج٣، ص١٢٩).

المقصود من الوعد الإلهي هو الوعد الذي تم الإشارة إليه بإيجاز في الآيات: ﴿يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١/٣) و ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٠/٣) و (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ...) (آل عمران: ١٤١/٣) (مصطفوي، ج٥، ٨٢). وقد قيل أيضاً إن هذا الوعد كان من قول النبي للرماة، بأنه طالما لم تتركوا مواقعكم، فستكونون منتصرين (الطبرسي، ج٢، ص٨٥٨).

كلمة "تحسّونهم" من جذر "حس" تعني القتل بطريقة تؤدي إلى الاستئصال والتدمير

(الطبرسي، ج٢، ص٨٥٨).

تظهر هاتان الكلمتان أنه في المرحلة الأولى من غزوة أحد، تحقق وعد الله بنصرة المؤمنين على المشركين من خلال طاعة المسلمين وجهودهم. وقد انتصر المسلمون الذين وضعوا ثقتهم في وعد الله وساروا في طريق الانتظار حتى وصلوا إلى ما يريدون. لكن في ما بعد، حالت ثلاثة عوامل دون وصولهم إلى النصر:

١- الفشل: على الرغم من أن "فشل" تعني الضعف والرخاوة المصحوبة بالخوف والجبن (الراغب، ص٦٣٧)، إلا أنه يجب تفسير كلمة "فشلتم" هنا على أنها ضعف الرأي، لأن تفسيرها بالخوف لا يتناسب مع وضع رماة السهام في ذلك اليوم، حيث لم يكن الخوف هو ما دفعهم إلى هذا العمل، بل كان الطمع في الغنيمة هو الذي حركهم من أماكنهم (الموسوي الهمداني، ج٤، ص٦٧).

٢- التنازع: عبارة "تَنازعتُم" في الآية تعني اتخاذ طريق الاختلاف (الطبرسي، ج٢، ص٨٥٨) ومنازعة هؤلاء كانت عندما انشغل صحابة رسول الله ﷺ بالغنائم، فقال أصحاب شعب: الناس يأخذون الغنائم ونحن بلا نصيب. فقال عبد الله جبير الذي كان أميرهم: لا تفعلوا هذا ولا تتركوا أمر رسول الله. فقالوا: إن رسول الله قال هذا الكلام عندما كان الأمر خلاف ذلك. والآن، عندما هُزموا...(عاملي، ج٢، ص١٣٩).

٣- العصيان: العصيان بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة (الراغب، ص٥٧٠). العصيان من رسول الله ﷺ الذي أدى إلى هزيمة المسلمين في معركة أحد، وفقًا لآراء المفسرين (الطبرسي، ج٢، ص٨٧٧) كان له عدة صور:

أولاً: الاختلاف في تحديد مكان المعركة: فقد قال بعضهم إن رسول الله ﷺ قال: من الأفضل أن نتحصن في المدينة ونتخذ منها ملجأ حتى يقصدنا المشركون، لكن أهل المدينة وأصحابه لم يقبلوا وقالوا: يا رسول الله، كنا نمتنع عن هذا في الجاهلية، والآن وقد أصبحت بيننا، من الأجدر أن نمتنع (العاملي، ج٢، ص٢٤٠).

ثانياً: الاختلاف بين الرماة: بعض من أصحاب عبد الله بن جبير خالفوا أمر النبي ﷺ

وتركوا مواقعهم وذهبوا إلى جمع الغنائم، في حين أن النبي ﷺ قد قال لهم ألا يخرجوا من أماكنهم تحت أي ظرف، حتى لو كان ذلك بعد انتصار المسلمين (عاملي، ج٢، ص٢٤٠).

ثالثاً: العصيان في غزوة بدر: عندما أسر المسلمون في غزوة بدر، أرادوا أن يأخذوا فدية من الأسرى ليحرروهم، فقال النبي ﷺ: إذا أخذتم الفدية، ستقتلون في المعارك القادمة بسبب الأشخاص الذين تحررونهم وتأخذون منهم الفدية. وافق المسلمون على ذلك، وقالوا: الآن نستفيد من الفدية، وإذا قُتلنا في المستقبل سنكون شهداء (العاملي، ج٢، ص٢٤٠).

لذا، على الرغم من صبر المسلمين وثباتهم في البداية وحركتهم الشجاعة نحو النصر، إلا أنهم تعرضوا لثلاثة أضرار وفقًا لما جاء في القرآن:

١- ضعف الإرادة "إذا فَشِلْتُم".

٢- الاختلاف حول الثبات أوعدمه "تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ".

٣-عصيان أمر القائد "عَصَيْتُم". ويبدو أن الأضرار الأولية تستند أيضًا إلى الضرر الثالث، وهو عصيان رسول الله ﷺ كقائد للحق في المجتمع، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...﴾ (التوبة: ٤٦/٩).

في نهاية أحداث غزوة أحد، أشار القرآن الكريم إلى هزيمة المسلمين، وإلى تجاهل بعضهم لنداء الرسول ﷺ بالعودة إلى المعركة والابتعاد عن الفرار، حيث قال: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ... إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ...﴾ (آل عمران: ١٥٣/٣-١٥٣): يبدو أنه كان يريد أن يفهم المسلمين أنه على الرغم من أهمية الأضرار المذكورة، إذا استجاب المسلمون لنداء قائدهم في اللحظات الأخيرة، لكانت هناك أمل في النصر لهم.

لذا كانت نتيجة الضعف والاختلاف والعصيان من رسول الله في هذه الحرب أن المسلمين انصرفوا عن مطاردة المشركين وبدؤوا بالفرار أمام الأعداء، وفقدوا النصر الذي

حصلوا عليه في غزوة بدر بفضل الثبات وطاعة الرسول ﷺ. ورغم الثبات والصبر في البداية، لم يتمكنوا من الوصول إلى ما أرادوه.

٤-٢- عدم طاعة بني إسرائيل حال دون الوصول إلى الأرض المقدسة

في القسم السابق، تم الإشارة إلى أن عصيان بني إسرائيل لأمر قائدهم الإلهي بدخول الأرض المقدسة أدى إلى أن تستمر فترة انتظارهم للوصول إلى الأرض الموعودة لمدة أربعين سنة، وفي النهاية، مع وفاة النبي موسى وزوال الجيل الموجود، لم يتمكن اليهود في عصر موسى من الوصول إلى ما أرادوه.

٥- عدم الطاعة عامل الانحراف عن المطلوب

الرابع والأخير من الأضرار التي يمكن أن تصيب المسلمين في مسار الانتظار في حال عدم اتباع أمر القائد الإلهي هو الانحراف عن المطلوب. في هذه الحالة، يبتعد الفرد المنتظر عن المطلوب بعد دخوله في المسار، ويتصور له مطلوب زائف. هذا الانحراف قد يكون له تأثير مثل بطء الحركة في الطريق نحو الوصول إلى المطلوب، ورغم أن الفرد المنتظر قد يستغرق وقتًا وجهدًا، إلا أنه بعد وضوح الحقيقة يمكنه إنقاذ نفسه والوصول إلى الهدف. بمعنى آخر، يمكن تعويضه. ولكن أحيانًا يكون هذا الانحراف خطيرًا لدرجة أن الفرد، رغم جهوده الكبيرة، وبسبب اعتقاده بصحة مساره، لا يبذل أي جهد للبحث عن طريق الهداية، ويبتعد يومًا بعد يوم عن المطلوب الحقيقي. يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦/٣٣).

مراد من قضاء الله هو الحكم الشرعي الذي قرره في كل مسألة تتعلق بأعمال العباد، وبهذا يتدخل في شؤونهم، وبالطبع يبين هذه الأحكام من خلال أحد رسله. أما قضاء رسوله، فهو أن رسول الله، بسبب الولاية التي جعلها الله له، يتدخل في شأن من شؤون العباد.

أما كلمة ضلال، فهي تعني كل انحراف عن الطريق المستقيم، سواء كان عمدياً أو غير عمدي، قليلاً كان أو كثيراً، وهي ضد الهداية.

من الواضح أن الله ورسوله ﷺ في تقديم الأحكام والأوامر للمؤمنين لا يحتاجان إلى أعمالهم، وأن نتيجة العمل بهذه الأحكام والأوامر تعود بالنفع على المؤمنين والمجتمع الإسلامي؛ لأن الإنسان بسبب علمه المحدود وعدم إحاطته بجميع جوانب الأمور لا يمكنه دائماً أن يميز مصلحته، وأحياناً بسبب خطأ في التقدير ينحرف عن طريق الهداية.

وحسب ما جاء في القرآن، من بين واجبات الرسول ﷺ هو إبلاغ الناس بما لا يعرفونه ولا يمكنهم الوصول إليه، كما قال الله تعالى: ﴿يُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١). لذا، فإن الاعتماد على قوله كقائد للمجتمع يمكن أن يضيء لهم الطريق للوصول إلى ما يريدون. في المقابل، فإن عدم الثقة وعدم الانتباه لوعد الله وأوامر القائد يمكن أن يبعد الإنسان عن طريق الوصول إلى ما يريد. كما قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وفيما يلي، سيتم ذكر مثال قرآني يوضح تأثير هذا الانحراف في واقع الحياة.

٥-١- عدم الولاية عامل الانحراف نحو عبادة العجل

بعد إنقاذ بني إسرائيل من قبضة الفراعنة وغرقهم في النيل، كُلِّف موسى بمهمة الذهاب إلى جبل الطور لمدة ثلاثين ليلة لأخذ الألواح التوراتية، ولكن بعد ذلك، لاختبار الناس، تم تمديد هذه المدة إلى عشر ليالٍ. استغل السامري، وهو رجل ماكر، هذه الفرصة وصنع عجلًا من الذهب والمجوهرات التي كانت لدى بني إسرائيل من الفراعنة، وكان يصدر صوتًا خاصًا، ودعا بني إسرائيل لعبادته. انضم إليه الغالبية العظمى من بني إسرائيل، بينما بقي هارون، خليفة وأخ موسى، مع أقلية على مذهب التوحيد، ولكن على الرغم من محاولاتهم لإرجاع الآخرين عن هذا الانحراف الكبير، لم ينجحوا، بل كادوا أن يقتلوا هارون نفسه. يبدو أنه في هذه الأربعين، أخذ موسى معه بعض كبار بني إسرائيل كممثلين عن جميع القوم، ليكونوا شهوداً على نزول أحكام التوراة، وليفهمهم أن الله لا يُرى بأي شكل من الأشكال (مكارم الشيرازي، ج٦، ص٣٤١).

في هذه القصة، كانت نتيجة عصيان بني إسرائيل لخليفة قائدهم، وهو هارون، هي ضلالهم عن هدفهم الحقيقي وهو معرفة ربهم، مما أدى بهم إلى قبول العجل كإله. في البداية، يشير القرآن الكريم في سورة الأعراف إلى اختيار هارون من قبل موسى كخليفة، حيث يقول: ﴿ . . . وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢).

ثم في سورة طه يشير إلى أثر هذه العصيان الذي يُذكر في حديث موسى وهارون من لسان موسى، فيقول: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَانُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾، قالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾، قال: ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (طه: ٢٠/٩٠-٩٣).

الاستنتاج:

استناداً إلى ما ورد في القرآن، فإن اتباع رسول الله ﷺ وأولي الأمر في المجتمع الإسلامي واجب على جميع المسلمين؛ لأن اتباعهم كقادة إلهيين للمجتمع الإسلامي يمكن أن يقلل من تعرض المجتمع للأذى في مسار أي نوع من الانتظارات، ويحمي المجتمع الإسلامي في سعيه لتحقيق أهدافه من الأضرار التي قد تنجم عن هذا المسار، والتي لا تخرج عن أربع فئات: أذى عدم الحركة نحو المطلوب، بطء الحركة نحو المطلوب، عدم الوصول إلى المطلوب، والانحراف عن المطلوب. وذلك بفضل حكمة قائد المجتمع الإسلامي. كما تم توضيحه في قصص القرآن، فإن هذه الأضرار الأربعة الناتجة عن عصيان القادة الإلهيين يمكن أن تؤدي إلى تأخير ظهور مطلوبات المجتمع أو عدم إدراكها والاستفادة منها عند ظهورها، والانحراف نحو مطلوبات غير واقعية، أو حتى تجعل الفرد والمجتمع غير مبالين ومحبَطين تجاه مسألة الانتظار والسعي لتحقيق المطلوب.

نظراً لأن معنى أولي الأمر يشمل الأئمة وخلفائهم الشرعيين، وفي عصر غيبة الإمام المهدي، فإن الفقيه الجامع للشرائط أو بعبارة أخرى ولي الفقيه هو الذي يتولى هذا الأمر، يجب على المسلمين أن يقللوا من أضرار مسار الانتظار من خلال اتباع ولي الفقيه كقائد إلهي للمجتمع الإسلامي، حتى يتمكنوا من اجتياز هذا المسار بأمان وفي أقل وقت ممكن.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن

التوراة

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٢. ابن كثير الدمشقي إسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم؛ لسان العرب؛ بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

٤. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأولى، بيروت: منشورات دار المعرفة، بدون تاريخ.

٥. الأسترآبادي، أحمد بن تاج الدين؛ آثار أحمدي تاريخ حياة النبي الإسلام وأئمة الأطهار؛ طهران: منشورات ميراث مكتوب، ١٣٧٤ هـ.

٦. الأنصاري، مرتضى، القضاء والشهادات، الطبعة الأولى، قم: المؤتمر العالمي لإحياء ذكرى الشيخ الأعظم الأنصاري، ١٤١٥ هـ.

٧. بازياني، سمانه، محمد شريفي، محمد مهدي كريمي نيا، مجتبي انصاري مقدم؛ «أسيب‌شناسي انتظار منتظران حضرت موسى عليه‌السلام»؛ بحوث ودراسات إسلامية، السنة الثالثة، العدد ٣٢، اسفند ١٤٠٠ش.

٨. جوادي آملي، عبدالله؛ تفسير تسنيم؛ الطبعة الثامنة، قم: منشورات إسراء، ١٣٨٥ ش.

٩. خزائي، سميه، من منابع ديني و تاريخي صهيونيسم، بوستان كتاب، قم، ١٣٨٨ ش.

١٠. الخميني، سيد روح الله موسوي، ولاية الفقيه: الحكومة الإسلامية، منشورات مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام خميني قدس سره، طهران، ١٣٥٦ ش.

١١. الخميني، سيد روح الله موسوي، ولاية الفقيه: الحكومة الإسلامية، منشورات مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام خميني قدس سره، طهران، ١٣٥٦ ش.

١٢. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد؛ المفردات في غريب القرآن؛ الطبعة الأولى، منشورات دار القلم، بيروت، ١٤١٢ ق.

١٣. سپهر، لسان الملك، محمد تقى؛ ناسخ التواريخ زندگاني پيامبر؛ الطبعة الأولى، قم: منشورات اساطير، ١٣٨٠ ش.

١٤. سپهري، محمد؛ سيرت جاودانه؛ الطبعة الأولى، طهران: پژوهشگاه فرهنگ انديشه اسلامي، ١٣٨٥ش.

١٥. الطباطبايي، محمد حسين؛ الميزان في تفسير القرآن؛ الطبعة الخامسة، قم: منشورات إسلامي جامعه مدرسين حوزه علميه قم، ١٤١٧ ق.

١٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن؛ مجمع البيان في تفسير القرآن؛ طهران: منشورات ناصر خسرو، ١٣٧٢ش.

١٧. الطبرسي، أحمد بن على، الاحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، مشهد: نشر مرتضى، ١٤٠٣ق.

١٨. الطيب، عبد الحسين؛ أطيب البيان في تفسير القرآن؛ طهران، منشورات إسلام، ١٣٧٨ ش.

١٩. العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، الطبعة الرابعة، بيروت: منشورات دار الهادي - دار السيرة، ١٤١٥ ق.

٢٠. العاملي، إبراهيم؛ تفسير عاملي، طهران: منشورات صدوق، ١٣٦٠ ش.

٢١. القمي، على بن إبراهيم؛ تفسير قمي؛ محقق طيب موسوي جزائري، قم: دار الكتاب، ١٣٦٧ ش.

٢٢. مشايخ، فاطمة؛ قصص الأنبياء (قصص قرآن)؛ الطبعة الأولى، طهران: منشورات فرحان، ١٣٨١ش.

٢٣. مصطفوي، حسن؛ تفسير روشن؛ طهران: مركز نشر كتاب، ١٣٨٠ ش.

٢٤. معروف الحسني هاشم؛ سيرة المصطفى ﷺ: نظرة جديدة على حياة رسول الله ﷺ؛ حميد ترقي جاه، طهران: منشورات حكمة، ١٣٧٣ ش.

٢٥. مكارم شيرازي، ناصر؛ تفسير نمونه؛ الطبعة الأولى، قم: منشورات دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٤ش.

٢٦. النجفي الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، عباس قوچاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٦٢ ش.